فليس الاغتصاب ، كما قلنا ، كلمة تقال . بل هي عمل يخضع لظروف محددة ولشروط معقدة : فمـا فهمه الشقيق بانه جريمة اغتصاب لم يكن كذلـك ، وما فهمه المجتمـع ـ قياسا على جريمة الشقيق ـ بانه « اغتصاب جمـاعي » ، لم يكن كذلك ـ وقد جاء قرار الاعدام الذي ابرمته الثورة وكأنه يوافق على ذلـك الفهم المغلوط للحادث بدلا من انتهاز الفرصة لطرح مثل هـذا الموضوع الخطـير طرحا موضوعيا ، ومواجهة الخطأ بجراة ، ودعوة القوى الوطنية والتقدمية في لبنان لقول كلمتها .

جـ ـ علاقة المقاومة بالاهالي :

في المقاطع السابقة مس المقال نقاطا تبدو للوهلة الاولى وكأنها عـلى غير علاقة مباشرة بموضوعنـا ، نقاطا من نـوع : دور الوعي السياسي عبر العملية التنظيمية في فرض منطق العقاب ـ والمأزق الجنسي وجرائم العـرض في بلادنا ـ ودور القوى الرجعية في تهيئة مسرح الجريمة الجنسية وبعد ذلك المسارعة الى حماية القاتل ـ ومهمة التنظيم الثوري في صدم المجتمع المنساق في تيار الضلال والخطأ ـ ودور الثورة في النظـر الى مسألة العلاقات بين الرجل والمراة نظرة علمية في مستوى التطورات التي نعيشها وعدم الخضوع للارهـاب اللفظي الذي تمثله كلمـات مثل اغتصاب ، وانتهـاك ، وشرف ، وعرض ، حين تكون مفرغة من معانيها الانسانية ـ الانحناء احيانا امام بعض التقاليد ولكن ليس الانسياق في تيارها ـ وبعد ذلك دور القوى الوطنية والتقدمية في لبنان ازاء حادثة حاصبيا بالذات . على ان هذه النقاط هي في الحقيقة في صلب موضوعنا ، وتشكل اساسه ، واذا اردنا حقا فهم حادثة حاصبيا وقصة ابو حميدو ، فانها ، بالدرجة الاولى، حصيلة هذه النقاط مجتمعة .. ولو لم تكن كذلك لما وصل الامر الى هذه الدرجة ، ومن الواضح أن الخطأ الذي وقع في كل نقطة من هذه النقاط هو الذي جعل من هذا « الحادث العادي » ، حادثا سياسيا كبيرا .

ومع ذلك ، فان عشرات من مثل هذه الاحداث تقع كل يوم في كـل بقعة من بقاع وطننا العربي ، والذين يواكبون حياة المقاومة والمقاومين ، يعرفون ـ وهذا ليس سرا ـ ان ما توهم كثيرون انه وقع في حاصبيا قد وقع فعلا ، وليس وهما ، في امكنة عديدة من البلاد العربية ، وان التنظيمات كانت تنظر في كل قضية من هذا النوع النظرة التي تتفـق مع انظمتها وعلاقاتها الداخلية ، وتتخذ الاجراءات المناسبة ، وفي معظم الحالات كانت الامور تنحل قبل وصولها الى درجة التأزم .

سنكون في منتهى السذاجة لو اعتقدنا للحظة واحـدة ، ان الالاف من الشبان الـذين يشكلون الجسد الحي لحركة المقاومة ، والذي ينتسب معظمهم الى حركات وقوى كان لها نظرة سلبية الى مبادىء التثقيف السياسي والتربية التنظيمية ، هم جيش طاهر من القديسين الاتقياء الورعين ، وانه ينبغي علينا عدم توقع اي خلل او خطأ في مسلكياتهم ـ ولكن الصحيح هو ان هذه المجموعة من الاخطاء والانتهاكات ، في السنوات الماضية ، ومن خلال القياس النسبي ، كانت قليلة للغاية ، واقل ما يمكن توقعه .

ومع ذلك فانه ـ بالاجمال ـ لم تكن التنظيمات تتلكأ قط في اتخاذ اجراءات صارمة جدا احيانا ضد مرتكبي تلك الاخطاء او الانتهاكات ، ولا شك ان هذه الاجراءات كانت احيانا تخضع لتقديرات مبالغ في قسوتها او في ليونتها ، وانه في العادة كـانت تشكو من عدم استنادها الى لوائح تنظيمية واضحة ، الا ان ذلك لم يكن يمنع من احتفاظ المقاومة بدرجة معينة من الانضباط ، ومن المنطـق التفاهمي ، في علاقاتهـا مـع الناس على مختلف المستويات . فلماذا انفجر الموقف في حاصبيا على هذه الصورة ؟

ان هذا السؤال يجب ان يعيدنا الى جذور المسألة ، وهي جذور تقع بلا شك ابعـد من ابو حميدو ، وابعد من قرار محكمة الثورة . وعلينا ، توا ، أن نضع المسألة باختصار